

تضافرت آراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي الإنسان، واملشكلة بينهما أنهما حاكمان أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في عالم القلوب. والفريقان مصيبان في حكمهما بالنظر إلى مغزى أساطري الأولي، التوراة والرسائل المضافة إلى الإنجيل، فيهما، كما هم مخطئون إذا نظروا إلى أن القرآن جاء مؤيدا للاستبداد السياسي، من العذر شيء أن يقولوا نحن لا ندرك دقائق القرآن نظرا لخفائها علينا في طي بلاغته ووراء العلم بأسباب نزول آياته، منذ قرون إلى الآن من استعانة مستبديهم بالدين. يقول هؤلاء الملاحرون إن التعاليم الدينية ومنها الكتب السماوية تدعو البشر إلى خشية قوة عظيمة هائلة لا تدرك العقول كنهها، فقط كما عند البوذية واليهودية، أو في الحياة وبعد الملمات كما عند النصارى والإسلام، تهديدا ترتعد منه الفرائض فتخور القوى وتنذهل منه العقول فتستسلم للخبيل والخمول، ثم تفتح هذه التعاليم أبوابا للنجاة من تلك املخاوف نجاة وراءها نعيم مقيم، تلك الأبواب حجاب من البراهمة والكهنة والقسوس وأمثالهم الذين لا يأذنون للناس بالدخول ما لم يعظموهم مع التذلل والصغار ويرزقوهم باسم نذر أو ثمن غفران، إن أولئك الحجاب في بعض الأديان يحجزون فيما يزعمون لقاء الأرواح بربها ما لم يأخذوا عنها مكوس الممرور إلى القبور وفدية الخلاص من مطهر الأعراف. الأديان كم يرهبون الناس من غضب الله وينذرونهم بحلول مصائبه وعذابه عليهم ثم طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد يرشدونهم إلى أن لا خلاص ولا مناص لهم إلا بالالتجاء إلى سكان القبور الذين لهم دالة بل سطوة على الله فيحمونهم من غضبه. ويقولون إن السياسي يبنون كذلك استبدادهم على أساس من هذا القبيل، يسترهبون الناس بالتعالي الشخصي والتشامخ الحسي، الأموال حتى يجعلوهم خاضعين لهم عاملني لأجلهم يتمتعون بهم كأنهم نوع من الأنعام التي يشربون ألبانها ويأكلون لحومها ويركبون ظهورها وبها يتفاخرون. ويرون أن هذا التشاكل في بناء ونتائج الاستبداديين الديني والسياسي جعلهما في مثل فرنسا خارج باريس مشتركني في العمل كأنهما يدان متعاونتان، مشتركني في الوظيفة كأنهما اللوح والقلم يسجلان الشقاء على الأمم. ويقررون أن هذا التشاكل بني القوتني ينجر بعوام البشر وهم السواد الأعظم إلى نقطة أن يلتبس عليهم الفرق بني الإله المعبود بحق وبني الملتبذ املطاع بالقهر، في مضايق أذهانهم من حيث التشابه في استحقاق مزيد التعظيم، النسبة بني عظمتهم ودناءتهم، في كثري من الحالات والأسماء والصفات، وهم هم، (الفعال المطلق)، والحاكم بأمره، وبني (لا يُسأل عما يفعل) وغري مسئول، وولي النعم، وبني (جل شأنه) وجليل الشأن. وبناء عليه يعظمون الجبابرة تعظيمهم هلل، ويزيدون تعظيمهم على التعظيم هلل لأنه حليم كريم ولأن عذابه أجل غائب، الجبار فعاجل حاضر. والعوام كما يقال عقولهم في عيونهم، بحياتهم الدنيا ملا صلوا ولا صاموا، على قراءة القرآن، ولا رجحوا اليمني بالأولياء الملقربي كما يعتقدون على اليمني باهلل. وهذه الحال هي التي سهلت في الأمم الغابرة املنحطة دعوى بعضاملتبدين الألوهية على مراتب مختلفة حسب استعداد أذهان الرعية، إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله. ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله، يعنون به الاستبداد تفريق الأمم إلى مذاهب وشيع متعادية تقاوم بعضها بعضا فتتهاتر قوة الأمة ويذهب ربحها فيخلو الجو للاستبداد ليبض ويفرخ، املتستعمرات لا يؤيدها شيء مثل انقسام الأهالي على أنفسهم وإفنائهم بأسهم بينهم بسبب. ويعللون أن قيام املتستبدين من أمثال (أبناء داود) و(قسطنطيني) في نشر الدين بني 1 وقيام الحاكم الفاطمي والسلطاني الأعاجم في الإسلام بالانتصار لغلاة الصوفية وبنائهم لهم التكايا لم يكن إلا بقصد الاستعانة بممسوخ الدين وبيعض أهله املغفلني على ظلم املساكني، الناس يتلقون قواعده وأحكامه بإذعان بدون بحث أو جدال فيودون تأليف الأمة على تلقي أوامرهم بمثل ذلك، ويحكمون بأن بني الاستبداديين السياسي والديني مقارنة لا تنفك متى وجد أحدهما في أمة جر الآخر إليه أو متى زال رفيقه، وإن صلح، أي ضعف، أحدهما صلح، أي ضعف، الثاني. ويقولون إن شواهد ذلك كثرة جدا لا يخلو منها زمان ولا مكان. أن الدين أقوى تأثيرا من السياسة إصلاحا وإفسادا، والهولنديني والأمريكان والأملان الذين قبلوا البروتستنتية، السياسي والأخلاق أكثر من تأثيري الحرية المطلقة السياسية في جمهور اللاتني أي الفرنسيني والطلبيان والإسبانيول والبرتغال. وقد أجمع الكتاب السياسيون املدققون، إلا واختل نظام دنياه وخسر أولاه وعقباه. والحاصل أن كل املدققني السياسي يرون أن السياسة والدين يمشيان متكاتفني، ويعتبرون أن إصلاح الدين هو أسهل وأقوى وأقرب طريق للإصلاح السياسي. وربما كان أول من سلك هذا املسلك أي استخدم الدين في الإصلاح السياسي هم السياسة بإحيائهم عقيدة الاشتراك في الألوهية، بصورة تخصيص العدالة بإله، والحرب بإله، والأمطار بإله، إلى غري ذلك من التوزيع، وجعلوا لإله الآلهة حق النظارة عليهم، وحق الترجيح عند وقوع الاختلاف بينهم. 1 محاكم ملعاقبة املتهمني بالزندقة أو مخالفة بعض أحكام الدين وفيها أنواع العذاب (محاكم التفتيش). طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد تمكن هذه العقيدة في الأذهان ملا ألبست من جلاله املظاهر وسحر البيان سهل على أولئك الحكماء دفعهم الناس إلى مطالبة جبابرتهم بالنزول من مقام الانفراد، الأرض كإدارة السماء، فانصاع

ملوكهم إلى ذلك مكرهني. مكنت اليونان أخريا من إقامة جمهوريات أثينا وإسبارطة. وكذلك فعل الرومان. الأصل لم يزل امثلان القديم لأصول توزيع الإدارة في الحكومات الملكية والجمهوريات على إنما هذه الوسيلة أي التشريك، فضلا عن كونها باطلة في ذاتها، شيء من خصائص الألوهية كالصفات القدسية والتصرفات الروحية، يتجه على مثلها غري أفراد من الجابرة كنمرود إبراهيم وفرعون موسى ثم صار يدعيها البرهمني والبادري والصوفي. وملاءمة هذه المفسدة لطباع البشر من وجوه كثيرة، بحثنا هذا محلها، انتشرت وعمت وجندت جيشا عرمرما يخدم الملتبدين. وقد جاءت التوراة بالنشاط، الله ونبيه يقاتلان عنهم، وجاءتهم بالنظام بعد فوضى الأحلام، مستبدلة مثلا أسماء الآلهة المتعددة باملائكة، والاستبداد، وكان أيضا مؤيدا لناموس التوحيد، تلك الأقوام الملتحطة، الذين بادروا لقبول النصرانية قبل الأمم الملتقية، صفتان مجازيتان يعبر بهما عن معنى لا يقبله العقل إلا تسليما، ورثت الإسلامية التفلسف فيها عن أديان الهند وأوهام اليونان. والبنوة بمعنى توالد حقيقي لأنه أقرب إلى مداركهم البسيطة التي يصعب عليها تناول الله، فكبر عليهم أن يعتقدوا في عيسى عليه السلام صفة هي دون مقام أولئك الملوك. ثم ملا انتشرت النصرانية ودخلها أقوام مختلفون، تلبست ثوبا غري ثوبها، وثنية للرومان والمصريين مضافة على شعائر الإسرائيليين وأشياء من الأساطير وغيرها، وأشياء من مظاهر الملوك ونحوها. درجة اعتقاد النيابة عن الله والعصمة عن الخطأ وقوة التشريع، أخريا البروتستان أي الراجعون في الأحكام لأصل الإنجيل. ثم جاء الإسلام مهذباً لليهودية والنصرانية مؤسسا على الحكمة والعزم هادما في الأجسام، ووضع شريعة حكمه إجمالية صالحة لكل زمان وقوم ومكان، بمثال لها بني البشر حتى ولم يخلفهم فيها بني امسلمني أنفسهم خلف، كعمر بن عبد العزيز واملهندي العباسي ونور الدين الشهيد. فهموا معنى ومغزى القرآن النازل بلغتهم وعملوا به واتخذوه إماما، قضت بالتساوي حتى بينهم أنفسهم وبني فقراء الأمة في نعيم الحياة وشظفها، في امسلمني عواطف أخوة وروابط هيئة اجتماعية اشتراكية لا تكاد توجد بني أشقاء يعيشون بإعالة أب واحد وفي حضانة أم واحدة، لكل منهم وظيفة شخصية، عائلية، ووظيفة قومية. املمحمدي لم يخلفه فيه حقا غري أبي بكر وعمر ثم أخذ بالتناقص، وتبكيه من عهد عثمان إلى الآن، بطراز سياسي شوري؛ ذلك الطراز الذي اهتدت إليه بعض أمم الغرب؛ لربما صح أن نقول: قد استفادت من الإسلام أكثر مما استفادته امسلمون. وهذا القرآن الكريم مشحون بتعاليم إماتة الاستبداد وإحياء العدل والتساوي حتى بُع تخاطب أشرف قومها: **وَن * قَالُوا نَإِي تَشْهَدُ مَرَّاحَتُ مَرِي مُ أَكُ نَت قَ * قَالَتْ يَا أَدْخُلُوا مَرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْيَكُ فُ أَنْظِرِي مَاذَا تَسْ شِدِيدَ وَالْأُسْدَ وَهَاجَعُوا أَ فَهَذِهِ الْقِصَّةُ تُعَلِّمُ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَشِيرَ الْمَلُوكُ أَمْلَأُ أَيِ أَشْرَافِ الرَّعِيَةِ يَقْطَعُوا أَمْرًا إِلَّا بِرَأْيِهِمْ، وَتَشِيرِي إِلَى لَزُومِ أَنْ تَحْفَظَ الْقُوَّةَ وَالْبَأْسَ فِي يَدِ الرَّعِيَةِ، يَخْصُصُ الْمَلُوكُ بِالتَّنْفِيزِ فَقَطْ، وَأَنْ يَكْرُمُوا بِنِسْبَةِ الْأَمْرِ إِلَيْهِمْ** توقريا، ومن هذا الباب أيضا ما ورد في قصة موسى عليه السلام مع فرعون في قوله تعالى: **رَضُّكَ مَ فَخَرَجَكَ مَ مَنَ أَسْ أَحْرَعِلَيْمُ يَوْمَ فَرَعُونَ وَنَإِنْ هَذَا لَمُرُونُ** أي قال الأشراف بعضهم لبعض: ماذا رأيكم؟ (قالوا) خطابا لفرعون وهو طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد **تُوكُ لَسَ إِحْرَعِلِيمَ مَدَائِنَ حَ اشْرَسَلْ فِي الْخَاهُ وَأَمَرُهُ مَ** أي رأيهم **يَبِينَنَّ** ازُعوا أ مذكارتهم بقوله تعالى: **فَ أَفْضَتْ مَذَاكِرَتَهُمَ الْعَلْنِيَةَ إِلَى النَّزَاعِ فَأَجْرُوا مَذَاكِرَةَ سَرِيَةٍ طَبَقَ مَا يَجْرِي إِلَى الْآنِ فِي بِنَاءِ عَلَى** ما تقدم لا مجال لرمي الإسلامية بتأييد الاستبداد مع تأسيسها على مئات من أمثال هذه الآيات البينات التي منها قوله تعالى **وَشَ أَوْ رُهُ مَ فِي الْأَمْرِ** أي في الشأن، **وَلِي الْأَمْرِ مَنُكُمَ** طُيْعَ وَالرُّسُولَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَذِينَ آمَنُوا **أ** ومن قوله تعالى: **يَا أَيُّهَا أَصْحَابُ الرَّأْيِ وَالشَّأْنِ مِنْكُمْ، وَهَمُ الْعُلَمَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ عَلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ، وَهَمُ الْأَشْرَافُ فِي اصْطِلَاحِ السِّيَاسِيِّينَ. فَرَعُونَ** أي ما شأنه، وحديث «أمري من املائكة جبريل» أي مشاوري. وليس بالأمر الغريب ضياع معنى (أولي الأمر) على كثري من الأفهام بتضليل علماء الاستبداد الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، منعا لتطرق أفكار امسلمني إلى التفكير بأن الظاملي لا يحكمونهم بما أنزل الله، **مَ بَنِي النَّحَ كَ مَتُعَدِلَ** أي التساوي، إلى معنى آية **إِنَّ اللَّهَ يَأْيُكُهُ مَ تَزَلُ اللَّهُ فَمَ يَحُكُّ مَ بِمَا أَعَدِلَ** أي التساوي: **أَلْكَ أَفْرُونَ**. املمالئني دفعا للفتنة التي تحصد أمثالهم حصدا. **وَأَفِيهَا فُ أَمْتَرَفِيهَا فَ** الأفهام في معنى (أمر) في آية: **وَإِذَا أَدِمْرِيَا**؛ فإنهم لم يبالوا أن ينسبوا إلى الله الأمر بالفسق. **كَمَرَنَاهَا تَ اللَّهُ** عن ذلك علوا كبيرا. أو تشديدها — أي جعلنا أمراءها مترفيها ففسقوا فيها (أي ظلموا أهلها) فحق عليهم العذاب أي (نزل بهم العذاب). والأغرب من هذا وذاك أنهم جعلوا للفظ العدل معنى عرفيا وهو الحكم بمقتضى ما قاله الفقهاء حتى أصبحت لفظه العدل لا تدل على غري هذا الملعنى، لغة التسوية؛ فالعدل بني الناس هو التسوية بينهم، 2 الساحر هو الداهية الملقدر على التمويه والخداع. **قَصَصِ اصْحَاةَ** املتواردة مطلقا، **عَدِلَ**، املعاقبة باملثل فقط على ما يتبادر إلى أذهان الأسراء الذين لا يعرفون للتساوي موقعا في الدين غري الوقوف بني يدي القضاة. وقد عدد الفقهاء من لا تقبل شهادتهم لسقوط عدالتهم فذكروا حتى من

يأكل ماشياً في الأسواق؛ ولكن شيطان الاستبداد أنساهم أن يفسّ قوا الأمراء الظالمين فريدوا شهادتهم. ولعل الفقهاء يُعذرون بسكوتهم هنا مع تشنيعهم على الظالمين في مواقع أخرى؛ مُرُون بِالْأَلْ خَرِي وَيَأْي دَعُون إِتْكَ ن مِنْ كُمْ أْ عذرهم في تحويل معنى الآية: ﴿وَلَمْ يَكِرْ﴾ إلى أن هذا الفرض هو فرض كفاية لا فرض عني؛ واملراد منه هُ وَنَ عِنَ ال سيطرة أفراد امسلمين بعضهم على بعض؛ إلى ذلك الأمم الملوقة للخري؛ السيطرة والاحتساب على الإدارة العمومية: السياسية واملالية والتشريعية، ومن يدري من أين جاء فقهاء الاستبداد بتقديس الحكام عن املسؤولية حتى أوجبوا لهم الحمد إذا عدلوا، وأوجبوا الصبر عليهم إذا ظلموا، اللهم إن املمستبدين وشركاءهم قد جعلوا دينك غري الدين الذي أنزلت فلا حول ولا كذلك ما عذر أولئك الصوفية الذين جعلتهم الإنعامات على زواياتهم أن يقولوا: لا يكون الأمري الأعظم إلا وليا من أولياء الله، ولا يأتي أمرا إلا بالهام من الله، نعم، لولا حلم الله لخسف الأرض بالعرب؛ حيث أرسل لهم رسولا من أنفسهم، لهم أفضل حكومة أسست في الناس، رعيته» أي كل منكم سلطان عام ومسئول عن الأمة. ما قاله مشرع سياسي من الأولي والآخرين، ظاهره وعموميته إلى أن املمسلم راع على عائلته ومسئول عنها فقط. ولياء بَعْضُ إلى ولاية الشهادة دون الولاية العامة. مؤمنٌ ات بَعْضُهُمْ أْ وهكذا غريوا مفهوم اللغة، وبدلوا الدين، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد لذة الاستقلال، وعزة الحرية؛ وكأن املمسلمين لم يسمعوا بقول النبي عليه السلام: «الناس سواسية كأسنان املمشط، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى». أْ كُمْ فَإِنَّ الله جل شأنه ساوى بني كَرْمُكُمْ عَنْ للحكمة ومجيئه مفسرا الآية ﴿إِنَّ أَدْكَ رَمْنَا بَنِي أَدَمْ﴾ ثم جعل الأفضلية في عبادته مؤمّنين وكافرين في املمكرمة بقوله: ﴿وَلَقَدْ غَرَسَهَا علماء الاستبداد القائلني في تفسري (عند الله) أي في الآخرة دون الدنيا؛ كَرْمُكُمْ لَغَةٌ هي الاتقاء أي الابتعاد عن رذائل الأعمال احترازا من عقوبة الله. أْ كُمْ كَقَوْلِهِ إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ ابْتِعَادًا عَنِ الْآثَامِ وَسُوءَ عَوَاقِبِهَا. وقد ظهر مما تقدم أن الإسلامية مؤسسة على أصول الحرية برفعها كل سيطرة وتحكم بأمرها بالعدل واملساواة والقسط والإخاء، بحضنها على الإحسان والتحابب. جعلت أصول حكومتها: الشورى الأرستقراطية أي شورى أهل الحل والعقد في الأمة حسبما يأتي فيما بعد. هذه الأصول بآتم وأكمل صورها. مطلقا في غري مسائل إقامة شعائر الدين ومنها القواعد العامة التشريعية التي لا تبلغ مائة قاعدة وحكم، كلها من أجل وأحسن ما اهتدى إليه املمشروعون من قبل ومن بعد. ولكن وأسفاه على هذا الدين الحر، الحكيم، السهل، السمح، على غريه من سوابقه، الدين الذي رفع الإصر والأغلال، وأباد امليزة والاستبداد، الذي ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها في قبور الهوان، الأنصار الأبرار والحكماء الأخيار فسطا عليه املمستبدون واملترشحون للاستبداد، وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعة، وحريوا أهله بالتفريع والتوسيع، والتشديد والتشويش، قبلهم أصحاب الأديان السائرة، املمتفنون بني دفتي كتاب ينسب لاسم إسلامي هو من الدين، القيام بواجباته وآدابه ومزيداته، إلا من لا علاقة له بالحياة الدنيا؛ حياة الإنسان الطويل العمر، العاقل عن كل عمل، عن تمييز الصحيح من الباطل من تلك الآراء املمتشعبة التي أطال أهلها فيها الجدل بالبرهان؛ والحقيقة أن كلا منهم قد سكت تعباً وكلالاً من املمشاغبة. وبهذا التشديد الذي أدخله على الدين منافسو املمجوس، على النفس، واعتقاد التقصري المطلق، فضلا عن محاسبة الحكام املمنوط بهم قيام العدل والنظام. وهذا الإهمال للمراقبة، وهو إهمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب». رضي الله عنهما مع الأمة، نجد أنهما مع كونهما مفطورين خري فطرة، النبوية لم تترك الأمة معهما املمراقبة والمحاسبة ولم تطعهما طاعة عمياء. وقد جمع بعضهم جملة مما اقتبس وأخذ املمسلمون عن غريهم وليس هو من دينهم بالنظر إلى القرآن واملتواترات من الحديث وإجماع السلف الأول فقال: (اقتبسوا) من النصرانية مقام البابوية باسم الغوثية (ضاهوا) في الأوصاف والأعداد أوصاف وأعداد البطارقة، والكردينالية والشهداء والأساقفة، وعجائبهم، والدعاة املمبشرين وصبرهم، والرهينات ورؤسائها، وحالة الأديرة وبادريتها. والرهينات ورسومها والحمية وتوقيتها، وتميزهم في ألبستهم وشعورهم، ولبس املمسابح في الرقاب، في الرقص على أنغام الناي والتغالي في تطيب املموتى والاحتفال الزائد في الجنائز وتسريح الذبائح معها وتكليلها وتكليل القبور بالزهور. وزينتها، والبيع واحتفالاتها، والترنحات ووزنها، والترنمات وأصولها، على القبور، وشد الرحال لزيارتها، والإسراج عليها، والخضوع لديها، بسكانها. و(أخذوا) التبرك بالآثار: كالقدح والحرية والدستار، العكاز، وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر الصالحني، الصليب. و(انتزعوا) الحقيقة من السر، ووحدية الوجود من الحلول، والخلافة من الرسم، والسقيا من تناول القربان، واملولد من املميلاد، وحفلته من الأعياد، الصلبان، وتعليق ألواح الأسماء املمصدرة بالنداء على الجدران من تعليق الصور والتماثيل، والاستفاضة واملراقبة من التوجه بالقلوب انحناءً أمام الأصنام و(منعوا) الاستهداء من طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد نصوص الكتاب والسنة كحظر الكاثوليك التفهم من الإنجيل، عن إقامة الدليل من التوراة في الأحكام. الفلك، وبخشية أوضاع الكواكب وابتخاذ

أشكالها شعارا للملك، وباحترام النار ومواقدها. و(قلدوا) البوذيني حرفا بحرف في الطريق والرياضة وتعذيب الجسم بالنار والسلاح، واللعب بالحيات والعقارب وشرب السموم، الأدعية والأنشيد والأحزاب، واعتقاد تأثري العزائم ونداء الأسماء وحمل التماثيل، ذلك مما هو مشاهد في بوذي الهند ومجوس فارس والسند إلى يومنا هذا. نقله إلى الإسلامية أمثال جون وست وسليمان علي منلا والبغدادى وحاشية فلان الشيخ وفلان الفارسي، على أن إسناد ذلك إلى أشخاص معينني يحتاج إلى تثبيت. الأساطري والإسرائيليات أنواعا من القربات، وعلوما سموها لدينيات. وكذلك يقال عن مبتدعي النصراني من أن أكثر ما اعتبره املتأخرون منهم من الشعائر الدينية حتى مشكلة التثليث لا أصل له فيما ورد عن نفس املسيح عليه السلام؛ إنما هو مزيادات وترتيبات قليلها مبتدع، وكثيرها متبع. من الصفائح الحفرية الهندية والآشورية ومن الصحف التي وجدت في نواويس املصريني املضافة إلى أصول عامة الأديان في الشرق الأدنى مقتبسة من الوضعيات املنسوبة لنحل وعيسى عليهما السلام، كما شوش الاستبداد في املسلمني تاريخ آل البيت عليهم الرضوان؛ الأمر الذي تولد عنه ظهور الفرق التي تشيعت لهم كإلامية والإسماعيلية والزيدية والخالصة أن البدع التي شوشت الإيمان وشوهت الأديان تكاد كلها تتسلل بعضها من بعض وتتولد جميعها من غرض واحد هو املراد، ألا وهو الاستعباد. والناظر املدقق في تاريخ الإسلام يجد للمستبددين من الخلفاء وامللوك الأولي وبعض العلماء الأعاجم وبعض مقلديهم من العرب املتأخرين أقوالا افتروها على الله ورسوله تضليلا للأمة عن سبيل الحكمة، يريدون بها إطفاء نور العلم وإطفاء نور الله، كَرَوْنَا لَ أَنْ تَمْسَهُ يَدُ التَّحْرِيفِ وَهِيَ إِحْدَى مَعْجَزَاتِهِ لِأَنَّهُ قَالَ فِيهِ: ﴿إِنَّا نَحْنُ أَفْظُ وَنُكَلِّمُ الْمُنَافِقِينَ﴾ فما مسه املنافقون إلا بالتأويل وهذا أيضا من معجزاته؛ بُعِثَ وَنَمَاتَ شَابَهُ مِنْ ذَيْنِ فِي قُبُورٍ وَإِنِّي أُمِثِلُ لِلْمُطَالَعِيِّ مَا فَعَلَهُ الْإِسْتِبدَادُ فِي الْإِسْلَامِ بِمَا حَجَرَ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْحُكَمَاءِ مِنْ أَنْ يَفْسُرُوا قِسْمِي الْآلَاءِ وَالْأَخْلَاقِ مِنَ الْقُرْآنِ تَفْسِيرًا مَدْقِقًا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخَافُونَ مَخَالَفَةَ رَأْيِ بَعْضِ الْغُفْلِ السَّالِفِي، أَوْ بَعْضِ املنافقني املقربني املعاصرين، فيكفرون فيقتلون. وهذه مسألة إعجاز القرآن وهي أهم مسألة في الدين لم يقدروا أن يوفوها حقها من الإتيان بمثله في فصاحته وبلاغته، وأنه أخبر عن أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون. أنه لو فتح للعلماء ميدان التدقيق وحرية الرأي والتأليف كما أطلق عنان التخريف لأهل التأويل والحكم لأظهروا في ألوف من آيات القرآن ألوف آيات من الإعجاز، رُطِبَ وَلَا يَوْمَ آيَةٍ تَتَجَدَّدُ مَعَ الزَّمَانِ وَالحَدِثَانِ تَبْرَهُنَّ إِعْجَازَهُ بِصَدَقِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا أَبْصَابٌ مِنْهُ يَجْلُوعُونَ الْأُمَمَ﴾ تؤمن بإعجازه عن برهان وبيان لا مجرد تسليم وإذعان. ومثال ذلك أن العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكاشفيها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا؛ التصريح أو التلميح في القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا؛ الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه؛ ومن ذلك أنهم قد كشفوا أن مادة الكون هي الأثري، لِيَّ السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴿كَذَلِكَ سُبْحُ وَنَحْيٌ﴾. حَيِّنْ أَهْلًا إِلَى أَنْ يَقُولَ: ﴿وَكُلُّ لَفِي فَانِّ السَّمِ أَوَاتٍ وَالْأَرْضُ مَنفَتَقَةٌ فِي النَّظَامِ الشَّمْسِيِّ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿أَرْتَقِ أَفَاقًا وَحَقِّقُوا أَنَّ الْقَمَرَ مَنشَقٌ مِنَ الْأَرْضِ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿أَوَ انشَقَّ الْقُصَّةُ امْنِ أَذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَواتٍ وَمِنْ وَحَقِّقُوا أَنَّ طَبَقَاتِ الْأَرْضِ سَبْعٌ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿اللَّهُ أَلَّ وَحَقِّقُوا أَنَّهُ لَوْلَا الْجِبَالُ لَاقْتَضَى الثَّقَلُ النُّوعِي أَنْ تَمِيدَ الْأَرْضُ أَي تَرْتَجُ فِي دَوْرَتِهَا مَدْبُكُ مَرْضَ رَوَاسِي﴾ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿وَأَطْبَاعُ الْإِسْتِبدَادِ وَالْمَصَارِعِ الْإِسْتِبدَادِ وَكَشَفُوا أَنَّ سِرَّ التَّرْكِيبِ الْكِيْمَاوِيِّ بَلْ وَامْلَعْنُوهُ هُوَ تَخَالَفُ نِسْبَةِ املقادير وضبطها وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ عَنْ مَاءٍ كَلَّ امْنِ أَلَّ وَكَشَفُوا أَنَّ لِلْجَمَادَاتِ حَيَاةً قَائِمَةً بِمَاءِ التَّبْلُورِ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿وَجَعَلَ شَيْءٌ حَاقٍ وَحَقِّقُوا أَنَّ الْعَالَمَ الْعَضْوِيَّ وَمِنْهُ الْإِنْسَانُ تَرَقَّى مِنَ الْجَمَادِ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿وَلَوْ قَرَّبْنَا بَمَاءِ التَّبْلُورِ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿سَآنُ مِّنْ سَلَالَةٍ مِّمَّا تُكْشِفُوا نَامُوسَ اللِّقَاحِ الْعَامِ فِي النَّبَاتِ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّ بَاتِ شَتَّى﴾ وَيَقُولُ: ﴿أَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَزْوَاجٌ مِّنْ نَّاهِ رُضٍ﴾ وَيَقُولُ: ﴿فَمَرَاتٍ جَعَلَ فِيهِ أَزْوَاجًا ثَمَّنْ كَلَّ زَوْ وَكَشَفُوا طَرِيقَةَ إِمْسَاكِ الظِّلِّ أَيِ التَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿أَنَّ الشَّمْسُ سَعَلُهُ سَاكِنًا ثَفْ مَدِّ الظِّلِّ وَلَ وَكَشَفُوا تَسِيرِي السَّفْنِ وَامْلَرَكَبَاتِ بِالْبَحَارِ وَالْكَهْرِبَاءِ وَالْقُرْآنُ يَقُولُ: ﴿مَمَّنْ مَثَّ وَالْجَوَارِي بِالرِّيحِ﴾ وَكَشَفُوا وَجُودَ املكروب وتأثيره والجذري وغيره من الأمراض، رَمِيَهُ مَبْحَجَ أَرَمِ نَسَجِيلٍ أَبِيلٍ أَيِ مِتَابَعَةِ مَجْتَمَعَةٍ تَهْمُ طَرِيًّا أَرْسَلَ عَلَّ سَيَنْكَشِفُ سَرَهَا فِي املستقبل فِي وَقْتِهَا املرهُونَ تَجْدِيدًا لِإِعْجَازِهِ بِإِخْبَارِهِ عَمَّا فِي الْغَيْبِ مَا دَامَ الزَّمَانُ وَمَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ، نَازَ وَجْنِي﴾. تَنَمُّو بِاللِّقَاحِ كَمَا تَشْرِي إِلَى ذَلِكَ آيَةٌ ﴿وَمَنْ كَلَّ شَيْءٌ﴾